التعجب كما في قولهم لله انت ولله ابوك وما اشبه ذلك (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٣ —

من المقرر ان العاقل الحازم اذا زاول مهنةً تحتّم عليهِ اتقانها : —

افاق في بعض الليالي رجلٌ على صوت بكآء طفلهِ الرضيع ولما لم يجد امهُ في سريرها — وكانت من المحاميات عن الحقوق — نهض من فراشهِ مذعوراً وخرج يبحث عنها فاذا هي على منصةٍ في المكتب منكبّةً على اوراق تطالعها ورسائل تتصفحها . فقال لها أأنتِ هنا لاهية بما لديكِ ووليدكِ المسكين قد اضرّ بهِ البكآء . فأجابت انَ غداً موعد المدافعة في المحكمة عن دعوى موكلي فلان ولا بدّ لي من درس ماجرياتها وتلاوة حججها وصكوكها تهيئةً لاسباب الدفاع فاذهب انتَ الى وليدك وعلّلهُ بما تشآء فان من زاول مهنةً تحتّم عليهِ اتقانها

فعاد الرجل صابراً على مضضهِ واخذ يجهد النفس في اسكات الطفل وتنويمهِ بما لديهِ من الذرائع وعيناهُ مطبقتان نُعاساً لانهُ كان مجهوداً من اعمال النهار وعبثاً اضاع جهدهُ لان الولد جائعٌ وهيهات الجائع ان ينام . ولما فرغ صبرهُ وضعف عن مقاومة النعاس السائد على دماغهِ عمدَ الى وصيفة البيت فايقظها تاركاً طفلهُ لعنايتها وعاد الى فراشهِ يغطُّ في نومهِ العميق

ولما هبَّ صباحاً افتقد الطفل فاذا هو مريض يئنُّ تألماً لشدة ما

نالهُ من عنآء الجوع والسهر والبكآء فسأل الخادمة عن امرأتهِ فقالت لهُ انها في مكتبها تفاوض رجالاً جآءوا يوسدون اليها المحاماة عن حقوقهم في قضية تخصهم . فامر الخادم ان يدعو الطبيب وهو ضيّق الصدر خاثر النفس حزين الفؤاد ثم مضى الى عملهِ دون ان يتناول طعام الصباح لان ربة البيت كانت كما علمت لاهية عن واجباتها البيتية بمهام الاشغال وكسب المال والرجل لا يستطيع طبعاً ان يقوم مقام المرأة في تدبير امور المنزل . ولما عاد قُبيل الظهر الى بيتهِ رأى طفلهُ جثةً لا حراك لها وذلك لان الطبيب المدعو عادهُ والامّ غائبة فوصف لهُ علاجين احدهما للشرب والآخر للضماد . وكان هذا سامًّا فغلطت الخادمة لجهلها القرآءة وجرعتهُ السامّ الموصوف للضماد بدلاً من الشراب فقضي عليهِ بعد نزاع يفتّت الاكباد ذاهباً ضحية تهالك أمهِ على مناظرة الرجال بالاعمال

اما المرأة ـ وكانت حاملاً ـ فصرفت صباح ذلك اليوم العصيب في اعداد اللوائح الطنانة واسباب الدفاع غافلة عما حلّ في بيتها من البلآء . ثم مضت توًّا الى المحكمة تناضل وتصاول لاهمَّ لها الا الانتصار على خصومها واحراز قصب التفوُّق والغلبة على مناظريها وتحصيل الربح لموكليها اغتناماً للجُعل المُرصَد لها . وهيَ لا شكَّ معذورةٌ فيما تفعل لان « من زاول مهنةً تحتّم عليهِ اتقانها »

ولكن وا اسفاه انها اهملت ما يعنيها وعكفت على اتقان ما لا يعنيها . تركت واجباتها الطبيعية التي على ايفآئها يتوقف بقآء النوع ونظام الاجتماع وهنآء الاسرة وحفظ حياة افرادها وانتظام معاشهم ونزعت نفسها

التوّاقة الى ما بهِ دمار الكون وتنغيص الحياة وشقآء الانسان

ومن اغرب ما حدث انها اثنآء انبعاثها في الدفاع واحتدامها في المناقشة والجَدَل بدرت منها كلمات عدَّها الرئيس افتراءً على المحكمة وازدراءً بالقضاة فاوسعها انتهاراً وزجراً وامر بطردها قسراً وكانت كثيرة الازدهآء مفرطة الغرور شديدة الاعجاب فامتلأَت خجلاً وانفعالاً وكادت تتميز من الغيظ فمضت تشكو المخاض ولم تبلغ البيت حتى ادركها الاجهاض . فكان الزوج المسكين بين خطبين هائلين يجرعانهِ الأَمرَّين

أما هي فلم تبالِ بما هنالك بل كانت مستويةً في مضجعها تحرق اسنانها غيظاً وغضباً تناجيها النفس بطلب الانتقام ممن أَلحق بها الذل والصَغار على مشهدٍ من الكبار والصغار . وهي تزعم انهُ بدون بلوغ هذه الامنية لا يمكن ان يهدأ لها بال او يقرَّ لها قرار

لا مرآء ان المرأة معذورةٌ في انصبابها على العمل في المهنة التي اتخذتها مرتزقاً لها لان « مَن زاول مهنةً تحتَّم عليهِ اتقانها »

ولكن ليت شعري كيف يتهيأ اتقان مهنةٍ خُصَّت بالرجال لامرأة انما خلقتْ لتكون زوجاً مؤاسية وأمًّا مربية ومرضعاً مغذّية وراساً لبيتٍ بها تحصر ادارتهُ وترتيبهُ واعداد ما يلزم لذويهِ من الملبس والغذآء . واسباب الدعة والهنآء . وعلى عنايتها يتوقف ما يحتاج اليهِ فؤاد كلٍّ منهم من التسلية والعزآء . وهي التي اذا غصَّت ردهتها بالضيوف وحفَّ بمقامها الاصدقآء تعيّن عليها ان تكون للنادي بهجةً تملأُهُ بالرونق والانس والبهآء

فمتى غادرت هذه الواجبات التي هي مندوبة لها طبعاً ووضعاً وعكفت

على محاكاة الرجال ومباراتهم فيما هو اجنبيٌّ عنها ولا يجدر بها سقطت ولا شكّ من مقامها السامي في المجتمع الانساني القائم بجمالها الادبي والمادّي وترفُّعها عن امثال هذه الامور والمتاعب اكتفآءً بما أُودع في ذاتها العجيبة من جواذب الدَلّ واللطف الناشئين عن الحيآء والضعف ثم كانت سبباً لتداعي اركان البنآء الانساني وانقراض الجنس في مستقبل الايام

لا ريب ان انبعاث الاناث في اوربا واميركا لمناظرة الذكور والتحدّي بهم في الاعمال والدخول معهم في انواع الجهاد الحيويّ والمعاشيّ او بعضها هو ما جعل الرابطة الزوجية هنالك انشوطةً سهلة الحلّ مع ان من الواجب حرصاً على انتظام الحياة وقياماً بتربية البنين واسعادهم ان تكون رابطةً ابويَّةً لا حلَّ لها ولا انفصام الا باسباب جوهرية لا سبيل معها للوئام والالتئام

ان هذه الاماني الزائغة الجائلة في هذا العصر في أفئدة النسآء هي ما جعل الحياة الزوجية سلسلة عذابٍ وشقآء ومجموع خصوماتٍ وشحنآء ونقل الحبَّ الطبيعيَّ الواجب الوجود بين الزوجين الى حالة مداهنة ورياء وان كنتَ في ريب من هذه الانبآء فأَعِد النظر معي في هذا الاحصآء

نقلت جريدة الغلوب الانكليزية الاحصآء الآتي : ان احد مبعوثي مجلس الامة الانكليزية نشر هذا التقويم اظهاراً لحالة المتزوجين في حيّ الستي ومديرية لسكس لكي يقيس عليهِ المطالع حالة المتزوجين في سائر البلاد الانكليزية التي اصبحت اليوم راقيةً ذروة الحضارة والمدنية ومستوليةً بما لديها من الجد والاقدام وحسن التخرج في اساليب الحياة على اهمّ

اقسام الكرة الارضية برًّا وبحراً وحاكمةً مئات ملايين من البشر شرقاً وغرباً قال

« ان عدد الزوجات اللاواتي هجرنَ ازواجهنَّ في الجهتين المذكورتين هو ١٨٧٢ والازواج الذين هجروا زوجاتهم ٢٣٧١ وقد تفرّق ٤٧٢٠ زوجاً وزوجةً بالطلاق القانوني . اما الازواج والزوجات الذين يتنازعون على الدوام فعددهم ١٩١ الفاً و٢٣ نفساً . والذين يكره بعضهم البعض الآخر ولكنهم يكتمون ذلك عن الناس ١٦٢ الفاً و٣٠٠ نفس . والذين يعيشون معاً بدون نزاعٍ ولا حبٍّ وتوادّ ٥١٠ آلاف و١٥٢ نفساً . اما الذين تدلُّ الظواهر على انهم يعيشون عيشة زواجٍ سعيد فعددهم ١١٠٢ والذين هم حاصلون على بعض السعادة ١٣٥ والذين يعيشون بالزواج سعداء ومحبين ومؤتمنين بالفعل فلا يزيدون عن ستة اشخاص »

وليس ذلك بعجيب لانهُ كما يستحيل على الرجل طبعاً ان يكون حاملاً ومرضعاً كذلك يتعذّر عليهِ عقلاً ـ اذا تمَّت فيهِ صفات الرجولة ـ ان يكون طابخاً غاسلاً كاوياً مناغياً للاطفال مدرباً للخدم على القيام بحاجات المنزل مرقعاً رافئاً للاثواب البالية والجوارب الرثة ممشطاً شعور الاولاد خائطاً لما يلزمهم من انواع الملبس . فان انزال الامور منازلها ووضع كل شيءٍ في محلّهِ من متممات الاتقان الذي هو شرطٌ اوليٌّ من شروط العمران

اخبرني رعاك الله اية حرفةٍ او وظيفةٍ يتيسر للمرأة ان تعانيها كسباً للمجد او المال مما هو من خصوصيّات الرجال دون ان تهمل واجباتها الطبيعية او تقصّر في بعضها مما هو ضروريٌّ لسعادة الحياة سوآءٌ كانت

تلك الواجبات زوجيّة ام والديّة معاشية ام الفية . أَلطبُّ ام الصيدلة ام الجنديّة ام الامارة ام التجارات والصناعات على اختلاف انواعها واوضاعها ام خدمة البواخر برًّا وبحراً ام البحث عن المناجم واستخراج كنوزها من اعماق الارض ام الفلاحة وما يتبعها من اعمال الزرع والغرس ام رعاية الانعام والمواشي في مناجع العشب ومواقع النبات ام ما ذا

انك لو نظرت بعين نقّادة وتأملت بفكرةٍ لم تنحرف في مؤثرات الاهواء وجواذب الاغراض لرأيتَ ان كل هذه المفردات المعدودة يتعذّر على المرأة ان تمارسها حق الممارسة دون ان تفقد مزايا الانوثة التي سلّطتها بحكمها النفّاذ على المجتمع البشريّ وجعلت صلاحهُ وشرهُ وسعادتهُ وشقآءهُ وسلامهُ وحربهُ وراحتهُ وعنآءهُ موقوفة على بقآئها سالمةً مصونة دون ان تسقط عن عرش مملكتها البيتية التي لا يستتبُّ نظامها ولن يستتبَّ ما لم تحصر المرأة وجودها واوقاتها وافكارها وعنايتها في المحافظة على سلامة وانمآء ودعة تلك المملكة الصغيرة التي من امثالها تتألف الممالك الكبيرة والعوالم العظيمة وتأهل الاوطان ببني الانسان ويسود العمران

(ستأتي البقية)

الدماغ والعقل

مما لا خلاف فيهِ ان الدماغ محلّ القُوَى العاقلة كما انهُ مركز الحس والحركة . وقد دلّ الاستقرآء على ان مبلغ تلك القُوَى تابعٌ لحجم الدماغ فكلما كان الدماغ اكبر حجماً كان العقل اكمل استعداداً واقوى ادراكاً والى هذا مرجع التفاوت في القوى العاقلة بين آحاد السلالة الواحدة وبين